النشاط الثقافي في الوطن العربي

من مراسلي "الآداب"

اتحاد الكتاب اللبنانيين

عقدت الهيئة العامة لاتحاد الكتاب اللبنانيين جلستها المقررة في ٥ نيسان بقاعة المجلس الثقافي للبنان الجنوبي (ليس لاتحاد الكتاب مقرّ رسمي حتى الان ..) فاستمعت الى تقرير الهيئة الادارية عن نشاط الاتحاد في العامين الماضيين ، قدمه الامين العام الدكتور سهيل ادريس ، ثم الى التقرير المالي قدمه امين الصندوق الاستاذ احمد ابو سعد . وبعد مناقشة التقريرين والاستماع الى اقتراحات الاعضاء ، جرى انتخاب الهيئة الادارية الجديدة للعامين القادمين ، ففاز بالتزكية السادة : سهيل ادريس ، ميشال سليمان ، خليل حاوي ، ادونيس ، حسين مروة . ميشال عاصي ، حبيب صادق ،احمد ابو سعد ، انطوان ملتقى،احمد سويد ، فؤاد الخشن ،الياس الخوري.

وقد اجتمعت الهيئة الادارية الجديدة وانتخبت مكتبها كما يلي:

الدكتور ميشال سليمان (امينا عاما) فؤاد الخشن (نائبا الامين العام) حبيب صادق (أمينا للسر) احمد ابو سعد (امينا للصندوق).

والجدير بالذكر أن الدكتور سهيل ادريس قد بقي امينا عاما للاتحاد منذ تأسيسه عام ١٩٦٨ ، وان القانون الاساسي للاتحاد ينص على انه لا يعاد انتخاب الامين العام اكثر من دورتين متواليتين .

قضية حبيب صادق

شارك الشاعر المناضل الاستاذ حبيب صادق ، امين سر اتحاد الكتاب اللبنانيين ، في ندوتين فكريتين حول الوضع في جنوب لبنان، فعمد وزير الصحة الذي يتولى الاستاذ صادق في وزارته منصبا اداريا الى « معاقبته » بايقافه عن العمل مدة ١٥ يوما وحسم راتبه لهذه المدة وتأخير تدرجه مدة عام ونقله الى عمل اداري اخر ادنى رتبة من عمله الاصلي ..

ومنذ اكثر من شهر،تقوم في لبنان كله حملة لنصرة الشاعر المناضل استنكارا لهذا التدبير القمعي ومطالبة بالغاء القانون الذي يفرض على الموظف طلب الاذن من وزيره للكتابة او المشاركة في الحياة الثقافية .

وقد نشرت الصحف كثيرا من المقالات المدافعة عن حبيب صادق، والبرقيات الشاجبة لموقف وزير الصحة . وقد تقرر القيام بمسيرة سلمية يشارك فيها المثقفون والصحفيون تأييدا لحبيب صادق واستنكارا للتدابير الغاشمة التي اتخذت بحقه .

وشارك الدكتور سهيل ادريس ، ممثلا لاتحاد الكتاب اللبنانيين ، في عدة لقاءات ومهرجانات لنصرة هذه القضية وادانة ذلك التصرف القمعي الذي يطعن رأسمال لبنان الاول : الحريات الديموقراطية وعلى رأسها حرية التفكير والتعبير التي يصونها الدستور اللبناني .

جامعة بيروت العربية

تحتفل « جامعة بيروت العربية » هذا العام بانقضاء خمسة عشر عاما على تأسيسها في بيروت . فقد انشأتها جمعية البر والاحسان عام ١٩٦٠ في العاصمة اللبنانية،وهي «مؤسسة لبنانية حرة للتعليم الجامعي» ولكنها ترتبط بجامعة الاسكندرية برابطة أكاديمية .

ولا تزال جامعة بيروت العربية تلعب دورا بارزا في حياة لبنان الثقافية . (١)

وقد كان انشاء الجامعة ضرورة ملحة اقتضتها ظروف المنطقة العربية . فقد رأى القائمون عليها ان هناك قطاعا كبيرا من الشباب العربي نحول ظروفهم الاجتماعية والمادية من متابعة دراساتهم الجامعية كما رأوا ان عددهم يتزايد في الوقت الذي يحتاج الوطن الى اسهامهم العلمي وجهودهم الهادفة . كما راعى المشرفون عليها هدف

(١) تضم الجامعة عدة كليات : الحقوق ، الاداب التي تشمل اللغة العربية وادابها والتاريخ والجغرافيا والدراسات الفلسفية والاجتماعية والدراسات الاسلامية وقسم اللغة الانجليزية ، كما تضم كلية التجارة (محاسبة وادارة اعمال،اقتصاد،علوم سياسية)كما ان هناك قسما للحصول على دبلوم التربية ، ومركزا لتمويل نشر البحوث التي يقوم بها اساتذة الجامعة . وتهيء الجامعة في قسم الدراسات العليا لنيل دبلوم الدراسات العربية والاسلامية بكلية الاداب وتؤهل لمتابعة الماجستير والدكتوراة .

وتعمل الجامعة على توسيع كلياتها بحيث تشتمل كلية الهندسة الكهربائية والالكترونية واقسام العلوم الاساسية ، كما تطمح لان تضم كليات الطب والزراعة والصيدلة .

وكاتب هذه القصة يريد تعرية الطبقة البورجوازية ، والانتصار للبروليتاريا الرثة ، ويكشف عن ابعاد التناقض الطبقي المقيت ،بل يذهب الى ابعد من ذلك حين يفضح اخلاقيات وقيم البورجوازية عندما يضع امامها ـ وعلى النقيض تماما ـ سلوك وتصرفات البروليتاريا . فاسماعيل بيك ابو الذهب يمثل كل ما يتصل بالزيف، والخداع ، والجبن ، والظهرية ، والاستغلال ، والجشع ، والتفاهة . بينما الخادم يمتلك « الذكاء ، والصدق ، والشجاعة ، والواقعية ، والايجابية في اتخاذ المواقف ! ولا شك ان الكاتب كان ذكيا في اختيار « الحدث » البسيط للدلالة على اشياء كثيرة مفقودة : ربما المساواة الاقتصادية ، والعدالة الاجتماعية ، واللاطبقية ، وهي طيور مفقودة من حياة البشر جميعا ، كالطائر الذي فقد من قصر اسماعيل بيك ابو الذهب . وان كان فقدانه هنا مزيفا ، لان السارق من نفس الطبقة ، ولانه سرق من اجل الزينة والمتعة الشخصية والمنفعة الخاصة. اما تلك الطيور المفقودة في حياة الخدم وغيرهم فانها ليست للزينة ولن تكون ابدا . انها طيور حادة لتلتهم الفئران الجشعة التي تنقض على طعام الصبية الصغار ، فتلتهمه .

وجريان الكاتب وراء هذا الهدف ، وتثبيت فكرته ، جعله يفتقد الشكل الفني، ويجنح نحو المباشرة الى حد كبير ، بل نراه يبالغ في تضخيم موقف الخادم ازاء اسماعيل بيك . اذ يبدو الحوار بينهما مبالغا فيه بدرجة غير واقعية ، أقرب الى الافتعال ، منه الى الموقف الصادق فنيا وموضوعيا ، وكان من الممكن الايحاء به بدلا من هذا الاسراف . وهناك فقر كثيرة يسفر الكاتب فيها عن وجهه هو ، ولا يتركنا مع الشخصية تقنعنا بسلوكها واقوالها ،او نفهمها نحن من الداخل بدلا من ان يفرضها علينا طرف ثالث فرضا تعسفيا .

ومهما يكن من شيء فان قارىء « البحث عن خالد » و« لحن جديد لاغنية قديمة » لا يستطيع بسهولة ان ينسى الاثر الذي تتركانه في نفسه ، والانطباع الذي تطبعانه عليها ، فانهما تسللتا الى الداخل بفن وبموضوعية ، في الوقت الذي اخذ فيه « الطائر المفقود »يصيح في منطقة العقل منا : منبها الى ان البورجوازية فأر شرس يلتهم طعام الصغار،منذرا بالويل الذي سوف تلاقيه على ايدي البروليتاريا، لاعنا الغنى والثروة والاغنياء والطبقية ، مفعلا شيئا مهما هو ان ذلك كله كان يحسن أن يتوسل اليه بصوت جميل موسيقي ، ليصبح اعمق اثرا ، واقوى ايقاعا ، واشد فاعلية !!

القاهرة

ايجاد جامعة عربية ذات تقاليد عربية واسلامية ، لتقف في وجه التيارات الثقافية الدخيلة على المنطقة العربية ، كما راعت في اقسامها احتياجات المنطقة آخذة لمبدأ الاولويات في التخصصات العلمية .

واقبال الطلبة على جامعة بيروت العربية فاق كل تصور ، فقد ارتفع عدد طلابها من ١١١ طالبا وطالبة حتى خمسة وعشرين الف طالب وطالبة وهو عدد يزيد على مجموع عدد طلاب الجامعات الاربع الاخرى القائمة في لبنان .

اما الطابع العام للجامعة فهو طابع عربي اسلامي ، فلغة التعليم فيها هي اللغة العربية ، (ما عدا قسم اللغة الانكليزية ، والهندسة المعمارية) والدراسات الاسلامية تحظى بنصيب ملحوظ في مناهجها الدراسية (ضرورة معرفة احدى اللغتين الفرنسية او الانكليزية كمادة اجبارية خلال السنوات الدراسية) .

اما هيئة التدريس فقد حرصت مصر على ضمان المستوى العلمي للجامعة فربطتها بجامعة الاسكندرية من حيث المناهج والمشاركة في الامتحانات وتدريس اساتذتها بها ، ومنح الدرجات العلمية .

وقد ساهمت الجامعة العربية ، بتخريج الالاف من الشباب الجامعي الذي بات يحتل موقعه في ميادين الاختصاص المتنوعة ويشارك على نطاق العالم العربي كله في نهضته العلمية والثقافية .

ولما كانت الجامعة العربية تعي احتياجات الوطن العربي المقبل على عصر جديد في مجال التكنولوجيا والعلوم الطبيعية في الصناعة والتصنيع ، فقد ادركت بان المنطقة ستكون في امس الحاجة الى اجيال جديدة من ذوي الخبرة العملية والفنية ، فانشات كلية للهندسة الكهربائية وكلية للعلوم ، سيبدأ التدريس فيهما ابتداء من العام الدراسي المقبل .

اما موارد الجامعة فهي الرسوم الدراسية التي تحصلها من الطلاب، وهي رسوم رمزية . ومصر هي التي تمد يد العون لها : اسهمت في اتمام مباني الجامعة، وفي تأثيثها ، وفي تخصيص معونة ماليه سنوية، وفي تزويدها بكبار اساتذة جامعاتها (٧٠ استاذا) مع تحمل مرتباتهم . وقد بلغ اسهام مصر أكثر من خمسة ملايين جنيه مصري والمطلوب الان والجامعة العربية على ابواب توسعة ، ان تمد لها يد العون من جميع البلدان العربية لتظل قادرة على القيام بدورها العلمي والحضاري .

وتضم الجامعة مكتبة ضخمة تحوي ما يقارب سبعين الف مجلد والفي دورية وتتميز بمجموعاتها في الدراسات اللبنانية والفلسطينية والعربية والاسلامية بالاضافة الى المعاجم ودوائر المعارف والموسوعات العامة . وبتمثل في هذه المكتبة طابع الشمول على مختلف التيارات الفكرية العالمية باقتناء مصادرها الاصلية وما يكتب عنها .

وتؤمن الجامعة بضرورة الانفتاح الثقافي العالمي لذلك نظمت دورات دراسية تساعد طلابها الراغبين في معرفة لغات اجنبية يقوم بتدريسها اساتذة متخصصون (تسع لغات) .

كما تساهم الجامعة في نشر الوعي الثقافي فتدعو نخبة من رجال الفكر في لبنان والعالم العربي لالقاء محاضرات عامة تعالج بعض قضايا العلم والفن والادب ، كما ترعى المعارض الفنية لفنانين عرب وتعيرهم بعض قاعاتها تشجيعا للمواهب ، وتقيم سنويا المعرض العماري لابراز النشاط العلمي والفني لطلابها ، والمعرض الجغرافي الذي يضم النماذج والخرائط التي يشترك طلاب الجغرافيا في تصميمها وتنفيذها ، ومعارض الكتب بالتعاون مع دور النشر من محلية وعالمية .

ويلعب اتحاد الطلبة في الجامعة العربية دورا بارزا في الحياة اللبنانية والعربية ، في بث الروح الجامعية ورفع مستوى الحياة الاجتماعية والفكرية والرياضية والفنية وفي ممارسة حرية التعبير عن آرائهم واثبات ذاتيتهم عبر روابطهم ومجلاتهم .

اما اثر الجامعة الكبير فيعود خاصة الى اسهامها في حل مشكلات التعليم الجامعي في الوطن العربي عن طريق الانتساب ، كما فتحت باب الالتحاق بها امام الحاصلين على شهادة اتمام الدراسة الثانوية دون النظر الى حداثة هذا الاتمام او قدمه فزادت عدد المتخصصين من الشباب العربي ، الذين بدأوا بعد تخرجهم، يقومون بفضل علمهم ومواهبهم ، بواجبهم القومي في رفع مستوى بلادهم الحضاري .

اما في لبنان ، فما يزال سجن الرمل من الامور التي تؤرق الجامعة ، ومن الضروري ازالة هذا السجن من جوارها ، وضم ارضه اليها ، لان ارضه هي المتنفس الوحيد للجامعة والامتداد الطبيعي لها . ومن حق الجامعة ان يلبي المسؤولون طلبها لما تقدمه من خدمات جليلة في حقل التعليم والثقافة والاقتصاد الوطني . وقد وعدت الدولة بوضع الارض تحت تصرف الجامعة حين يتم انجاز سجن رومية . وبذلك يتحقق القول : افتح مدرسة تغلق سجنا .

ج . م . ع .

رسالة القاهرة من سامي خشبة

طه حسين ، والثقافة العربية : قضية غير مصرية !

احتفلوا « هنا » في الشهر الماضي بالذكرى الثانية لوفاة طه حسين . بين يدي الان مجموعة الابحاث والقصائد و« الكلمات »التي القيت لاحياء ذكرى الرائد العظيم . اتطلع ، واطلب اليكم ان تتطلعوا: هل ترون في قاهرته الاثر الذي كان ينبغي ان يتركه ، وان يتركه جيله الكبير ، ثم تلامذتهم الكبار ؟ ان ما قيل في احياء ذكراه الثانية (الثانية فحسب) وجاء متنميا ، او امتدادا ، او تطويرا لما قال به عن المعرفه والعقل ، وعن مناهج التفكير العلمية وعن النظر النقدي وعن رفض النقل وضرورة التفكير الحر ، لم يات من مصر ، وانما جاء من العراق او من الجزائر ، من سوريا أو من لبنان او من المغرب . ولكنه لم يات من مصر . اننا قد نختلف ـ ونحن مختلفون ـ معه في اكثر ما توصل اليه من نتائج فعلية حول الثقافة العربية وحول تاريخها ومستقبلها . ولكننا ـ ان كنا نريد ان ننتمي حقا الى جماعة المفكرين لا الناقلين ـ لا بد ان نعرف ما غرسه عقله في التربة التي منها نبتنا . بل اننا ـ اذا شئنا ان نصوغ التصور العلمي والاكثر صدقا عن الثقافة العربية وعن تاريخها ومستقبلها ، فلا بد ان سيكون ما قاله طه حسين عن كل ذلك احدى مراحل بحثنا الاساسية ، ولا بد ان سيكون جدلنا معه احدى خطوات تقدمنا الضرورية نحو تصورنا نحن المختلف عن تصوره . ان الكثير من العقول العظيمة التي انتجتها ثقافتنا في نصف القرن الاخير (مهما كان حجم عظمتها ، قياسا الى حجم حضارتنا ذاتها) شبت ونفذت من خلال غذاء النور والقدرة على النظر النقدي الذي اتاحه هو لاصحابها . وعلى العكس ، ان الكثير من العقول القوية التي كان يمكن ان تقدم الكثير من العطاء ، قد عقمت واصابها البوار ، لانها رفضت محاورته لمجرد اختلاف اصحابها مع نتائجه الفعلية حول تاريخ الثقافة العربية او حول مستقبلها . وكثير من العقول المتوسطة والعادية ، لم تستطع ان تتجاوز قدراتها لانها لم تجرؤ على الدخول من الابواب المؤدية الى عراء البحث وجحيم التجربة التي فتحها هو ، عارفا بما يفضي اليه العراء والجحيم معا من اكتمال لنضج عقل الانسان وخروجه من عالم الطفولة او حالة الخدر . وربما كان من ادلة عظمة طه حسين ، انه لم يتحول الى « مدرسة » بالمعنى الكامل للمدرسة في الفكر . فبصرف النظر عن الاسباب الموضوعية لذلك ،فان الاسباب الذاتية التي تميز بها تلامذته المباشرون ، والتي تشير الى مقدار خشيتهم من ولوج الابواب التي فتحها حتى لا يضطروا الى النكوص مثلما اضطر هو ، دون ان تكون لهم نفس قدرته على الالتفاف حول جدران التحريم والتكفير والبتر ، هذه الاسباب الذاتية تؤكد ما كان للرجل من قدرة شخصية على المغامرة العقلية (او التصدي الاجتماعي ايضا) وهي قدرة لم يكن بوسعه ان يورثها لابنائه حصنوا انفسهم مقدما من آثارها . وهذا معناه ببساطة ان الرجل (من ١٩٢٤ حتى ١٩٤٠) كان بمفرده مرحلة كاملة من تطور الثقافة العربية في مصر ، لا يرافقه فيها سوى رجل واحد (علي عبدالرازق) ولم يرافقه فيها اكثر من خطوة واحدة . ثم كان لا بد ان تبرز مرحلة اخرى الى الوجود ، وكان لا بد لاصحابها ان يضلوا طويلا قبل ان

يصلوا الى اكتشاف ضرورة الالتفات ـ مثلما اكتشف هو ـ حول جدران التحريم والتكفير ، بدلا من ان يعيدوا ـ ببساطة ـ النظر في منطلقاته هو ذاتها ، معتمدين على المنهج الذي غرسه بنفسه في المناخ العقلي الذي خرجوا هم ليتنفسوه : منهج النقد والشك فيما قاله السلف مهما كان اكبارنا تشيوخه ، اعتمادا على اكبر قدر من المعلومات تتيحها وسائل البحث الموضوعية ، لكي نكون من المعلومات والنقد في آن « معرفة » موضوعية بتاريخ الامة وثقافتها .

وربما كانت هذه مناسبة لكي نقول لهم (الصحيح ان اقول : لنا) ان المنهج العلمي في الفلسفه ، مطبقا على التاريخ او على اي مجال من مجالات الوجود الاجتماعية ، لا يمكن ان يقوم ـ ولم يكن من الممكن ان يقوم ـ قبل ان تتمكن وسائل البحث الموضوعيه من جمع وتبويب كميات هائله من المعلومات (تراكمت حتى ادى تراكمها واعادة نقدها الى كشوف معرفية عظمى ، ابرز منها التاريخ العلمي للفلسفة كشوفا بعينها باعتبارها المقدمات الاساسية والاسانيد التي مهدت لظهور الفلسفة العلمية ذاتها). وانه من بديهيات الفلسفة العلمية ، ومن « الف بائها » ، ان الكشوف العلمية العظمى قادرة على اضافة ملامح اساسية جديدة للفلسفة العلمية ، وتترتب على ذلك بديهية اخرى : ان المعرفة التي كانت متوافرة لعلماء الاجتماع والاقتصاد وللفلاسفه أوروبا في القرن الماضي عن تاريخ الامة العربيه وعن تاريخ الشعوب الاسيوية والافريقيه عموما كانت معرفه ناقصه ، بالاضافه الى ان الكثير من هذه المعرفه الناقصه كان مصاغا من وجهات نظر رحاله او رجال دين او هواه غير متخصصين من الاداريين والعسكريين ذوي الفكر غير العلمي وادوات البحث القاصرة . وبالتالي فان ملاحظات الفلسفه العلميه في مراجعها الكلاسيكيه في القرن الماضي حول تاريخ وتطور مجتمعاتنا ليست منزهة عن الخطأ وليست بعيدة عن الوقوع في أوهام عديدة . وعلينا هنا ان نضيف ان هذه الملاحظات قد وضعت لكي تحقق الشمول لنظرية علمية حول التطور التاريخي للمجتمع الانساني استندت في الاساس الى معرفة شاملة بتاريخ الحضارة الغربية وحدها ، مع الم عام بالاصول الفرعية لهذه الحضارة . فتلك الملاحظات عن حضاراتنا ومجتمعاتنا لا تعد اكثر من بدايات لمحاولات لم تمس الفهم النظري الى نطاق حضاري اخر اعتمادا على القوانين الاساسية للفلسفة العلمية وليس على القوانين الاساسية لحركة « التاريخ » الاوروبي .

وكان عدم اكتمال المعلومات اساسا هو مشكلة طه حسين ، بالاضافة الى قصور منهجه الفكري العام (المنهج الوضعي). ولكن لم تكن هذه سوى مشكلته الذاتية . اما المشكلة الموضوعية فتتمثل في الاطار العام الذي تحركت فيه المرحلة التي جسدها : اطار انعدام الثقة في قدرة الثقافة التقليدية الموروثة على مجابهة مشاكل العصر وحلها ، ولا على مجابهة وحل مشاكل المجتمع الثقافيه ذاتها ، وانعدام الثقة في المؤسسات التعليمية الموروثة ايضا ، يقابل هذا ثقة مطلقة في « علمانية » وموضوعية الثقافة الغربيه (ثقافة المستعمرين) وعلمانية وموضوعية ما توصلت اليه من نتائج بشأن حضارتنا وتاريخنا وتطورنا الثقافي . وبينما نرى قدرا معقولا من اليقظة النقدية ازاء كتابات الرحالة والمستكشفين عن مجتمعاتنا في مراسلات ماركس وانجلز مثلا ، نرى نوعا من التسليم الكامل باراء المستشرقين في مجتمعاتنا وموروثنا الثقافي في كتابات طه حسين عن تاريخنا الثقافي ونقده ، مع عدم الحرص على استكمال المعلومات الناقصة ونقد ما توفر على المستشرقين من معلومات ..

ولكنني لم اشرع في كتابة هذه الرسالة لكي احولها الى مقال نقدي عن طه حسين ، وانما لكي تكون « ملاحظات » حول الاحتفال الرسمي بذكراه الثانية . قال بعضهم انه ابوهم او انه كان لهم ابا ، وقال اخرون ما اجمل اسلوبه في التعبير . وكان الرجل عاش ومات لا لشيء الا لكي تنتسب اليه شر الذرية ، او لمجرد ان يكون صناجة يكتب ليطرب بهم . لا يهمني هنا ما قاله الشعراء كثيرا ، فليس لنا ان ننتظر منهم اكثر من الاشارة الى العموميات والى التلميح الى مصير الانسان وعظمة الغاضب وجدارة الاحياء اكثر من الموتى بالرثاء، والى حال مصر من بعد العميد الفقيد وهوانها على « بني قحطان » .واذا كان الاستاذ الدكتور سهيل ادريس قد عمل على مواجهة ما يفرزه تيار لبناني منخلف من اضرار تجسدت في قصيدة سعيد عقل ، بمقارنتها بقصيدة نزار قباني (الجميلة فعلا ، له علينا هذا الحق وهذا الجميل) ثم بمقارنتها (قصيدة عقل) بالواقع اللبناني المريروالمحترق، فان لنا ان نقارن الجميع ، قصائدهم وابحاثهم وكلماتهم بالواقع الثقافي المصري .

★ ★ ★

من الواضح اننا حين نتحدث عن مساهمة طه حسين في تنوير العقلية العربية ، فاننا لا نتحدث عن مقالاته في النقد التطبيقي ،سواء لاعمال الشعراء والكتاب القدامى او لاعمال المعاصرين له . اننا نتحدث اساسا عن أعماله ذات الطابع الفكري ، التي كانت ـ او كان المفروض لها ـ انها مفاتيح اولية لصياغة مبادىء العلوم الانسانية من وجهة النظر العربية ، وان كانت قد جاءت ـ بحكم الظروف الموضوعية ـ مجرد تطبيق مناهج هذه العلوم الغربية على مادتها العربية ،في تاريخ الادب ، وتاريخ الفلسفة ، وتاريخ الدين ، والتاريخ السياسي والاجتماعي العام . ولعل السبب الذي اعطى لاعمال طه حسين في هذه المجالات الاربعة ، قيمتها الحقيقية ، هو استناده الى نوع من المنهج الوضعي ، التاريخي الاجتماعي ، اتاح له ان يضع جانبا هاما من التراث العربي (الاسلامي ومما قبل الاسلام) تحت ضوء جديد ،فلسفي ونقدي ، كشف في هذا التراث ابعادا ، وحدد احجاما ، وقلب موازين للتقدير ، وكان المفروض بعد ذلك ان تستمر عمليه « نقد التراث » ثم « نقد النقد » من منظورات اكثر شمولا وعلمية ، بهدف اعادة تقييم مجموع تراث الامة (لا بهدف « اختيار » ما نراه مناسبا ، كأنما تراث الامة معرض « كل شيء » وكأننا نحن في المعرض زبائن موسم نريد منه كسوة او بضاعة) وبهدف اعادة صياغة علاقة الامة بتراثها (اي بذاتها في الماضي) على اسس الوعي بالتراث ومعرفته ، ثم مفارقته والتأسيس الجديد فوقه . وبمعنى اخر ، ان الهدف النهائي ، كان هو وضع « العلوم الانسانيه » العربية ، اعتمادا على تطوير مصطلحات ومناهج هذه العلوم في صورها التراثية ، حتى يتمكن العقل العربي، باستيعاب وتطوير هذه العلوم من الحصول على صورة اقرب ما تكون للحقيقة عن حضارته وتاريخه وواقعه الاجتماعي من جوانبه المختلفة . كان المفروض ، ان يكون هناك عمل من نوع معين ، بعد رسالة طه حسين عن ابي العلاء ، ثم بعد رسالته عن ابن خلدون ، ثم بعد كتابه عن الشعر الجاهلي ، من اجل الا تظل الرسالتان والكتاب مجرد «مصادفات» عابرة ، تستدعي التعظيم احيانا ، والاستنكار احيانا ، قبلة اعجاب او ركلة سخط نستقر بعدها جميعا الى جانب حائط قديم في اهمال. كان المفروض ان يكون هناك عمل « نقدي » جديد ، لا تستطيع غير الفلسفة العلمية ان تنجزه تو ان اصحابها كانوا علميين حقا ، من اجل اعادة اكتشاف وتقييم تاريخ الفلسفة العربية ، وعلوم التاريخ والاجتماع العربية ، وتاريخ الادب العربي (اصوله وتطوره) من اجل حسم عدة قضايا اساسية ، لا تقل اهميتها للعمل السياسي التكتيكي نفسه عن اهميتها للقضايا الثقافية الاستراتيجية العظمى في اي مجتمع : قضايا الانتماء الحضاري لمصر وللعالم العربي ،والموقف من التصور « الغربي » عن الحضارة العربية ، وحقيقة اصول وتطور التكوينات الاجتماعية العربية ، ومدى تأثر هذه التكوينات ـ وتطورها ـ بموروثها الثقافي الخاص وبالمؤثرات الثقافية الوافدة والاطوار الاجتماعية الجديدة التي كان لا بد ان تخوضها مع الانفتاح القسري او الاختياري على حضارة الغرب البورجوازية الغازية . باختصار ،كان لا بد لعلوم الانسان والمجتمع ان توجد على اساس دراسة الواقع بالمناهج العلمية المطوعة للواقع نفسه،بعد سد النقص الذي كان لا بد لاعمال طه حسين ان تقع فيه ، من نقص المعلومات ، الى التبني غير النقدي لوجهات نظر ولمعلومات المستشرقين ، ومن ثم الى اغلاق الباب امام الفكر البورجوازي المصري والعربي للمساهمة في حل المشكلة ، انتظارا للمساهمة التي كان المفترض ان تأتي من اتجاه فكري علمي حقا ، او على الاقل ، مكتمل العلمية .

★ ★ ★

لست اعتقد بعد هذا ، او بعد ان استسلمت لاغراء الحديث

عن طه حسين ، بدلا من معاناة الحديث عما قالوه عنه في احتفالاتنا الرسمية ، لست اعتقد انني سأكون قادرا على معاناة ذلك الحديث الذي ما بدأت الا لكي اكتبه. في ايديكم ـ كما بين يدي ـ اعداد مجلات الهلال والثقافة والكاتب المصرية ، في شهري مارس وابريل (اذار ونيسان) . لست استدعيكم شهودا ، لانني لا اعتقد ان في الامر ما يستدعي المحاكمة . فالقضية ، طه حسين ، والثقافة العربية ، ليست مسألة « مصرية » كما تعرفون ، وكما هو اكثر وضوحا الان .

القاهرة

ع ع س

رسالة سوريا من سعيد حورانية

من اين ابدأ رسالتي عن الادب والفكر والفن والمسرح والسينما .. الى اخر هذه القائمة من الكلمات المعجمية الصعبة التي اذا استمر خطها البياني في الانخفاض على هذا الشكل الصاروخي ، فسنحتاج الى بعثة حفريات صابرة للتنقيب عن اثارها ، بعد ان دخلت سوق البيع والشراء تحت سمع بعض اجهزة الدولة أو بتشجيعها ، او بجهلها ، او تعاميها ، او الاشراف المباشر على المزاد الرخيص .

سوريا البلد الذي اصبح محط انظار العالم .. سوريا الصمود، سوريا الامل ، تعاني من ازمة في مجالات الثقافة جميعا .. ازمة خانقة وعميقة ومفتعلة تتناسب عكسا ، ويا للعجب ، مع النهوض السياسي والاقتصادي وتزايد الوعي الاجتماعي والقومي حتى لكان هناك ، من الداخل ، قوى تحاول أن تشد العربة الى الوراء ، وان تعرقل المسيرة، عن قصد ، ولولا بعض النوافذ المشرقة هنا وهناك لانكر المرء بلده الذي لعب دورا من اخطر الادوار في تاريخ الثقافة العربية المعاصرة .

لا .. ليس هذا بكاء على الماضي ، وانما بكاء على الحاضر .. فلقد اصبح التردي الفكري والادبي والفني اشبه بأحجيات اللامعقول. « الامية ، نظريا ، يجب ان تتراجع . وهي ، عمليا ، تتفاقم في المدن والريف على السواء رغم اننا منحنا جائزة اليونسكو لجهودنا في نشر التعليم . والفكر النظري يتمضمض ببعض نفاهات الثقافة الغربية فلا يعطيها من الصبغة الوطنية الا رائحة اسنانه المذهبة ، او يخرج علينا بمقولات ارهابية شاملة باسم القومية او التراث وهو جاهل بكليهما ومتاجر بكليهما ، اما اذا ولد بعد مخاض ، ولد طرحا مضحكا كالنظرية الحيوية التي ولدت لتنير العالم كالمسيح ، والنجوم تحف بها وترعاها وتدفعها ، وحاولت هذه النظرية التسويفيه الكونية الكوسموسية (قد يكون في النجوم عوالم اخرى نحتاج اليها) والتي قال عنها مؤلفها وبعض مقرظيها انها تجاوزت طوباويات هيجل وخزعبلات ماركس ، التي (اثبت الزمن فشلها !!) حاولت ان تقتحم الفكر بمحاولة انقلاب على الطريقة السورية، وجندت الصحافة والاذاعة والتلفزيون كامل قواها لتزف النبأ السعيد الذي طال انتظاره بعد عقم طويل ، ولم يبق عليها سوى ان تذيع برقيات التأييد بعد ان جمعت كثيرا من العلماء المساكين المدعوين في مؤتمر صحفي واذاعي كان المؤلف يقف فوقهم شاهرا قلمه بتواضع .. انها ليست مسرحية كاريكاتورية بل ميلودراما عصرية ، وانتهت المهزلة بعد اسابيع ، فالطرح اثبت انه لن يقوى على الحياة ولو في قفص من الاوكسجين بعد ان امتلأت رئتاه بالفحم .

من يراقب من ؟

فاذا انتقلنا الى الرقابة وقعنا في دهاليز متشابكة ملتوية لا أول لها ولا اخر كدهاليز كافكا الاسطورية .

في كلمة بليغة للرئيس حافظ الاسد حدد مفهوم الرقابة كما يراها . قال : لا رقابة على الفكر سوى رقابة الضمير ورقابتنا باجهزتها البالية المتخلفة من عهود وعهود ، تفعل ما في وسعها ، لتفرغ هذا القول من محتواه ولتراقب الضمير نفسه ، ولتقف كالسد امام الاتصال بالجماهير في مختلف مجالات الاعلام والنشر والمسرح ، بل انها تسهر بدأب لكي لا يصل الى جمهورنا الا الغث البليد ، والمعاد المكرور ، والفكر المصفى جيدا من اية (مفرقعات) قد تؤثر على هيمنتها وتحكمها ، او تزعج ارتباطاتها او صداقاتها او التزاماتها المريبة احيانا مع القوى المعادية للتقدم ولمسيرة الاشتراكية وتوطيد مواقع القطاع العام وللفكر الوطني التقدمي في الدولة .

ومصفاة الرقابة اشكال وانواع .. لا تعرف احيانا من يراقب من، رئيسك المباشر يراقب ، ورئيس رئيسك يراقب ، والمدير يراقب والمدير العام يراقب فلا يصل العمل الى مرحلته النهائية الا ويصبح كدجاجة البدوي عظاما وجنحين مكسورين .

والرقابة الرسمية ، المعينة من قبل الدولة مفهومة ، تستطيع ان تتعامل معها وان تناقش وان تدافع عن فكرك ووجهة نظرك ، ولكن الرقابة الاخرى ، الرقابة الخفية ، التي تمد أذرعتها الاخطبوطية الى كل مكان ، تتنامى بيرقراطيتها في بلدنا اتنامي ، بمعدلات تفوق ما يذاع عن نمو الدخل القومي .. لقد اقامت من نفسها ، بحكم موقعها الوظيفي في كادر الدولة ، رقابة خارجة عن الرقابة المعلنة ، تتحدث باسم سياسة الدولة ، وغالبا ضد سياسة الدولة ، ملتفة حول الانجازات التقدمية ، مفسرة « ومجتهدة » على هواها وكأنها دولة داخل دولة .

والا فأين النتاج الفكري والفني والمسرحي والادبي الذي يعالج المشاكل الحقيقية للجماهير ويعكس تطلعاتها؟ وكيف اختفت بعض المواضيع من هذا النتاج نهائيا باسم وطنية المعركة وقوميتها وباسم الحياد وباسم خطورة المرحلة ؟ وماذا يستطيع في مثل هذه الظروف ان يقدم الكاتب او الفنان الى هذا الجيل المتنامي الذي يطرح الاف الاسئلة دون ان يرى جوابا عليها؟ وكيف انتشرت كالجرب مواضيع الجنس والقتل والسرقة والعقد النفسية والجنسية ، وقصص اللامعقول والرمز المجاني ، ثم هذه المسلسلات التاريخية التي لا يقصد بها الا الهروب من الواقع ، والعودة الى الرومانتيكية دون اي اسقاط على العصر ، ثم بروز البرامج الدينية حتى لكأننا ، عندما نستمع الى بعض برامج الاذاعة قد انتقلنا الى تكية للدراويش ؟ ولماذا تضع اذاعتنا وتلفزيوننا نصب عينيها انتاج برامج تباع للخليج وللسعودية بقصد الربح التجاري فقط مهملا المطالب الاساسية للمواطنين ؟ واين اخيرا دور الرقيب السري في ذلك ؟

والواقع ان من يستمع الى اذاعتنا او يرى برامج تلفزيوننا ، سيرى بصمات الرقيب الخفي على اكثر برامجها ، من مسلسلات هابطة سورية وعربية واجنبية تستلب المشاهد ، وتبعده عن المشاكل الاساسية ، الى افلام مصرية طويلة تجاوزها توت عنخ امون نفسه، الى اذاعة اغان طويلة تأكل وقت المواطن ..

اما اذا استثنيت من الاذاعة البرامج التي تشرف عليها الدولة والمؤسسات مباشرة، فبامكانك الظن وانت تستمع الى الاغاني والمسلسلات اننا حاربنا في تشرين بسيف عنترة ، ورمح عروة ، وجمل الشنفري .. الم تسل دماؤنا مع البترول ؟ وكفى ذلك دليلا على قومية المعركة .

نعم هؤلاء هم الرقباء السريون !

جيش من الاداريين الفارغين الذين لم يفتحوا كتابا منذ سنوات، والذين يزدادون مع الايام امية وتخلفا ، يتضخم ويتضخم كالسرطان الخبيث ليمتص موارد الدولة ، ويعرقل سياستها ، ويشوه مسيرتها .. مؤهلات متواضعة ، (احيانا شهادة متوسطة) ومرتبات كبيرة بعقود خارجة عن صلاحية مجلس الوزراء (تبلغ معاش دكتوراة دولة احيانا) تنغل كالنمل في كل مكان ، تدس انفها في كل شيء ، توجه ، وتقود، وتخرب ، وماذا يفعل هذا الجيش العرمرم في نهاية المطاف اذا كان الذين ينتجون في سوريا لا يتجاوزون الثلاثين ؟ يالله من جيش دون عسكر ! وكيف وجدوا في هذه الامكنة الحساسة التي هي وجه الدولة

الثقافي والعلمي والادبي والفني ؟ لنتذكر المثل الياباني المشهور : الذي يتلوى اكثر يجد نفسه في قيادة المظاهرة .

والمسرح ؟

يقول لطفي الخولي معلقا على ازمة المسرح المصري : « ان هذه المرحلة ستذكر في تاريخ المسرح كما يذكر المماليك في تاريخ مصر».

فاذا صح هذا القول على مسرح قديم له منجزاته وتقاليده والذي شهدنا ازدهاره الكبير منذ منتصف الخمسينات على ايدي نعمان عاشور وسعد الدين وهبة وسعد اردش وجلال الشرقاوي ونجيب سرور وكرم مطاوع وميخائيل رومان والفريد فرج وغيرهم وغيرهم فماذا يقال عن مسرحنا الفتي الذي ما ان وقف على قدميه بفضل رعاية الدولة المتمثلة بالمسرح القومي ، الذي قدم على تواضعه بعض الاعمال الباهرة ، حتى انقض عليه المسرح الخاص التجاري ليحاول الاجهاز عليه.

نفس المأساة : جيش الاداريين ، غياب الرقابة ، استئثار بعض المخرجين بالمواسم . انعدام التخطيط ، ضعف لجان القراءة ، بؤس مستوى الممثلين ، الوقوف في وجه الوجوه الجديدة ، انحدار المستوى النظري ، واخيرا عدم وجود معهد مسرحي في سوريا .

لقد حاولت الدولة حقا ان تدعم المسرح القومي ، وصدر مرسوم جمهوري بانضمام الفنانين ومنهم الممثلون والمخرجون والفنيون ، ولكن لم يحدث اي تغيير الا نحو الاسوأ .. بدأ الممثلون بعد ان اطمأنوا الى مستقبلهم ينظرون الى المسرح وكأنه مورد رزق لا رسالة فنية، ولعبت سياسة النجوم دورها في اضعاف سلطة المخرج على الممثلين ، ويمكنك ان تشاهد « مراكز القوى » في كل مسرحيه : من انعدام الايقاع، وغلبة الصوت الواحد ، وخلخلة التوازن ، وتفاوت الاداء ، ومحاولة التفوق على الاخرين ، والارتجال في الميزانسين ، الى اخر هذه النواقص الخطيرة التي تدمر اي عمل مسرحي جاد .

ولن نفصل الان في عروض القطاع الخاص التي ابرزنا في رسالتنا الماضية بعضا منها ، والتي تقوم على التهريج واعتماد الغناء والرقص والنكت الجنسية ، والنقد السياسي المجاني للتنفيس ، وكل بهارات التجارة الرخيصة ، والتي تلقى تشجيعا كبيرا من بعض الاجهزة بالمال، وتأمين المسارح ، وشراء البطاقات وفرضها ، مما يحلم ببعضه المسرح القومي .. فهذا كله ينبع من سياسة واحدة : تغريب الشعب عن واقعه ، واستلابه بالجزئيات التي تنفس عنه ، وقتل كل ما يتصل بالقطاع العام ، واظهاره بمظهر العاجز عن المنافسة ، وقد ساعدت خطة المسرح القومي في حذرها في اختيار الموضوعات ، وبعدها عن كل ما يقلق ، في تنامي دور المسرح التجاري الذي يجد فيه المتفرج بعض ما « يفش خلقه » من شتم المخابرات الذي اصبح الآن موضة ثورية ، وتعداد نواقص بعض موظفي القطاع العام من رشوة وفساد وسوء ادارة وسرقة وجهل ، دون التعرض الى الصراع الحقيقي الذي يدور في البلد بين ترسيخ القطاع العام والمنجزات التقدمية الاخرى ، وبين اعدائه من الطبقة الصاعدة المرتبطة بالتجار ، والتي تزداد ثرواتها بصورة خيالية ، والتي تتمسح بشعارات السلطة وتفعل كل ما تستطيع لافراغها من الداخل .

وفي رأيي انه لا يمكن معالجة الحالة الا بوضع خطة مسرحية عامة للدولة ، يشترك فيها كل المعنيين بشؤون المسرح من مؤلفين ومخرجين وممثلين ، وخلق « بيوت مسرحية » مستقلة ضمن الخطة العامة لها ريبورتوارها وممثلوها وميزانيتها ومسرحها تحت رئاسة مخرج متمكن تعاونه لجنة منتخبة ، الى جانب الغاء الرقابة البيروقراطية الجاهلة ، والاسراع في بناء المعهد المسرحي الذي هو الامل لخلق جيل بعيد عن امراض مسرحنا العليل ، واخيرا وليس اخرا افساح المجال للمخرجين الجدد الذين وفدوا حديثا والذين لا يجدون مكانا يعملون فيه ، واذا اتفق واستطاع احدهم اخراج مسرحية مع الجامعة او مع المسرح المدرس توضع في وجهه العراقيل بحجة انشغال قاعة المسرح القومي الدائم في نشاطات بعيدة عن المسرح في بعض الاحيان .

وعن السينما ؟

وفي السينما ، اكثر الفنون جماهيرية ، يبدو الامر أتعس ... صالات السينما في القطر ـ ما عدا اربع صالات ونصف يمكلها القطاع العام ـ حكر على الافلام التجارية السورية والعربية والاجنبية ... الافلام المستهلكة كليا من التي تباع في بيروت بالكيلو قبل احراقها تعرض في صالات الدرجة الاولى عندنا ، بينما تنكمش السينما النظيفة في صالة الكندي وملحقاتها في المحافظات ، وفي عروض النادي السينمائي كل ثلاثاء ، وعلى جمهور محدود ، ولن نتحدث الان عن مؤسسة السينما التي كانت محط الامال في الانتاج الجاد على مستوى الوطن العربي ذات يوم .. لن نحاسبها الان .. فهي لم تنشر برنامجها هذا العام بادارتها الجديدة . وقد قيل كلام كثير عن تأجيرها المعامل التابعة لها للقطاع الخاص ، وقيل كلام كثير في حجرها حتى الان على فيلمي « اليازدلي » و « السيد التقدمي » وعن مساهمتها في منع فيلم « الحياة اليومية في قرية سورية » كأنما لتنتقم من كل ما تم من منجزات في العهد السابق ، فان صح هذا ، ونرجو الا يكون صحيحا ، يكون القطاع الخاص قد استطاع توظيف عملائه في كل الاجهزة الحساسة لتتم ابعاد المؤامرة .

اشارات مضيئة

الواقع ان المرء ليبتهج في هذا الفراغ الاسود من مشاهدة بعض الاشارات المضيئة التي تعمل بصمت وبثبات وتفان . فقد قدمت لنا دائرة السينما في التلفزيون العربي السوري التي يرأسها لطفي لطفي بعض الافلام القصيرة عن الجولان والقنيطرة بشكل خاص ، الى جانب فيلم قصير عن قصة لزكريا تامر « النار والماء » في سهرة بسينما الكندي . والافلام هي « القنيطرة ٧٤ » سيناريو واخراج محمد ملص وتصوير حازم بياعة و« النار والماء » سيناريو واخراج هيثم حقي وتصوير حازم بياعة ، و« تحية من القنيطرة » سيناريو عبدالعزيز علون ووديع يوسف واخراج وديع يوسف (من مخرجي مؤسسة السينما) وتصوير محي الدين سكحل وفيلم « مهمة خاصة » سيناريو واخراج هيثم حقي وتصوير محي الدين سكحل . وفيلم « صفحات من قصة الجولان » سيناريو واخراج بشار عقاد وتصوير حازم بياعة . (جميع المخرجين السابقين تخرجوا حديثا من الاتحاد السوفيتي) وفيلم « دروس في الحضارة » سيناريو واخراج امين البني (متخرج من فرنسا) وتصوير حازم بياعة .

وهذه ملاحظات سريعة جدا عن هذه الاعمال ، المخلصة : صورت بامكانيات التلفزيون الضئيلة ، وحمضت وطبعت بمساعدة مؤسسة السينما . وتسترعي الانظار فورا موهبة محمد ملص ورؤيته الشعرية، ففيلمه مع بعض التحفظات في رقة زهرة مقطوعة مع مستوى في التكنيك اكثر من مقبول ، وكذلك تألق هيثم حقي في فيلمه « مهمة خاصة » من حيث المتناول والتكنيك والبعد النظري لولا بعض التطويل في مناظر التدريبات مراعاة لبعض الامور المفهومة ، وقد وفق بشكل خاص في دغم مناظر معركة جبل الشيخ الحقيقية التي التقطها المصور سمير جبر، الوحيد الذي صور جزءا من المعركة الحقيقية بالمناظر التي التقطت بعد المعركة . وكان فيلم امين البني مدروسا دراسة متقنة من حيث توجهه للرأي العام العالمي ومن حيث حلوله التشكيلية وتكنيكه المتقدم في استخدام الصور الوثائقية .

اما فيم وديع يوسف فنقطة ضعفه الاساسية هي هذا السيناريو المهلهل وخاصة في النص الذي بدا ثقيل الظل وليس بمستوى الفكرة الجيدة التي يطرحها مما اساء اليه اساءة بالغة لم ينقذه منها محاولة المخرج استخدام الكاميرا استخداما حكيما في بعض الاحيان. ويبقى فيلم بشار عقاد الذي صور بالاساس كفيلم وثائقي لارشيف التليفزيون وكانت اللقطات غنية وحساسة .ثم دغمت الصور في سيناريو مقبول رغم السرعة الظاهرة في العمل ليلحق بالاحتفال .

وقد اثبت المصوران وحازم بياعة بصورة خاصة ، مقدرتهما التكنيكية وتمكنهما من تطويع الكاميرا للموضوع المطروح .

وفي العدد القادم نحلل بعض الاشارات المضيئة في مجالات اخرى من مجالات الثقافة .

دمشق